آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة : العددان السابع والعشرون والثامن والعشرون - رمضان ١٤٢٠ هـ - كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠ م

■ مصحف شريف كتب في القرن التاسع

A COPY OF THE HOLY QURAN

written in the 9th century A. H.

طب الأسنان عند الأطباء العرب والمسلمين

- مقدمة تاريخية -

الدكتور/ محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال

الموصل - العراق

أولاً-طب الأسنان في الحضارات القديمة

تشير النصوص المسمارية الطبية المكتشفة إلى أن سكان وادي الرافدين القدماء عرفوا العديد من الأمراض وعالجوها ، ومنها أمراض الفم وأمراض الأسنان وآلامها.

فقد جاء في أحد النصوص: «إذا كان رأس الطفل ساخنًا من غير أن يصاب جسمه بالحمى ، وكان لعابه يسيل ، وكان يصرخ كثيرًا ، وأن ما يأكله لا يبقى في معدته ، بل يقذفه ، فإن أسنان الطفل ستنبت خلال عشرة أو عشرين يومًا»(١).

وجاء في نصّ آخر : «إذا أصبحت أسنان الرجل مخلخلة وأصابها النخر...». كما وصفت نصوصٌ أخرى «نتانة الفم ورائحته الكريهة مع ذكر العلاج المناسب لها»(٢).

كشفت أوراق البردي في وادي النيل أن قدماء المصريين عرفوا تسوّس الأسنان، وذكروا الأدوية التي تهدىء الألم ووخز الأسنان ودمامل اللثة. ووجدت أسنان صناعية في مقابر المصريين مصنوعة من الخشب، وأخرى محشوة بالذهب، ولكن لم يعرف هل حشيت هذه الأسنان قبل الموت أو بعده؛ لكي تحافظ على السن(٣).

وكان لأهل الصين علمٌ متقدم بطب الأسنان، وكانوا يعرفون كسوة الأسنان بالذهب. وهناك خبر أورده ابن فضل العمري (ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٩م)، في (مسالك الأبصار)، عن قيام أحد الأطباء الصينيين بقلع أسنان أحد الشيوخ وزرع أسنانٍ في موضعها(٤).

ومن الاكتشافات الأثرية في مناطق أخرى من العالم(٥) تبين اكتشاف «الأسنان المزروعة بطريقةٍ بدائية مثل التي وجدت في حفريات قرب صيدا في لبنان».

و«الأضراس المحشوة في شكل مربع التي وجدت في جماجم من الإكوادور - أمريكا الجنوبية».

و«التيجان الذهبية للأسنان التي تعود إلى عهد الإمبراطورية الرومانية القديمة ٢٧ ق.م. - ٤٧٦م».

و«طقم أسنان اصطناعية وأبراج ذهبية اكتشفت عند أفراد من شعب الأتروسك (في منطقة توسكانيا الإيطالية حاليًا)».

وللأطباء اليونانيين كتابات جديدة وآراء قيّمة

حول طب الأسنان، كانت أساسًا «اعتمدها الأطباء العرب والمسلمون في كتاباتهم وممارساتهم لهذا العلم»(٦).

نذكر فيما يأتي بعضًا من آراء جالينوس كما جاءت في الحاوي للرازي (ج٣) على سبيل المثال، يقول جالينوس (١٣١ - ٢٠٠م):

«وجع الأسنان يسكن بالتكميد والتخبيص على الأسنان واللحي»، ويقول: «وقبول الأسنان للخضرة والسواد يدل على قبولها للمواد، وأنها تتغذى وتنمو».

«قال: وإذا اشتد الوجع فبخّر فم العليل ينفع. فإن لم يسكن فاثقب وسط السن بمثقبٍ دقيق، وقطّر فيه الزيت المغلي مراتٍ، فإن لم يسكن فاقلعه».

ولأجل قلعه لم يستعملوا الآلات، بل وصفوا أدوية توضع على السنّ واللثة تساعد على انقلاع السن. ويقول جالينوس: «إن الأسنان من بين سائر العظام تحسّ حسًّا بيّنًا، وذلك لأنها تقبل عصبًا ليّنًا من الدماغ».

ثانيًا : طب الأسنان عند العرب في صدر الإسلام

حرص الطب الإسلامي على صحة الفرد بشكلٍ عام، وعلى صحة أسنانه بشكلٍ خاصّ، فقد فرض القرآن على المسلمين الوضوء قبل كل صلاة، وسنّ الرسول ﷺ فيه المضمضة ثلاث مراتٍ لكل وضوء؛ لتزول رواسب الأطعمة وما خلّفته من بقايا، «عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: حبذا المتخللون من أمتي، قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون في الوضوء، والمتخللون من الطعام. أما تخليل الوضوء فالمضمضة، والاستنشاق، وبين الأصابع، وأما تخليل الطعام فمن الطعام، إنه ليس شيء أشدّ على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعامًا وهو قائمٌ يصلي». رواه الطبراني في الكبير.

كما أمر الرسول ﷺ باستعمال السواك، وحبّب استعماله لأصحابه، واستعمله طيلة حياته في حقبةٍ من الزمن لم تكن معروفة فيه المعارف الطبية الحديثة في وقاية الأسنان. وبذلك كان ﷺ أول من أمر وقام بالعناية بنظافة الفم وحفظ صحة الأسنان في تاريخ الطب الوقائي عند المسلمين.

يقول ﷺ: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب). رواه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي.

كما ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة). رواه أحمد والطبراني.

ويبدو أن مسألة تشبيك الأسنان وشدّها بالذهب لتقويتها كانت معروفة لدى العرب والمسلمين منذ وقتٍ مبكّر، وأقدم ما جاء ذكره أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كانت أسنانه مشدودة بالذهب(٧).

وهناك روايات عديدة عن آخرين كانت أسنانهم مشدودة بالذهب.

وكان الذهب يستعمل أيضًا في تعويض الأسنان؛ فقد روى ابن حجر: «أن عبدالله بن عبدالله بن أُبيّ فقد في معركة أحد إحدى رباعياته، فنصحه رسول الله ﷺ بأن يعوضها بسنّ ذهبية»(٨).

كما ورد في ترجمة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ = ٧٧١م) وكان من أعلام النحويين من مدرسة البصرة، أن أسنانه الأمامية كانت مكسوة بالذهب»(٩).

ويبدو أيضًا أن عادة تشويه الأسنان لزيادة الجمال كانت منتشرة في جزيرة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ولكن الإسلام الذي كان يرى في الإنسان أكمل صور الخلق الإلهي لم يقبل هذا التشويه. روي في الأثر : (لعن رسول الله ﷺ الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله). رواه البخاري ومسلم.

والمتفلجة هي التي تفلج أسنانها بالمبرد ونحوه للتحسين(١٠).

ثالثًا - الدراسات التي تناولت تاريخ طب الأسنان عند العرب

إن أهم الكتابات الغربية حول تاريخ طب الأسنان عند العرب كانت كما يأتي:

«نجد في كتاب سوذهوف المسمّى (تاريخ طب الأسنان) الطبعة الثانية، ليبسيك ١٩٢٦، وكذلك كتاب فينشينزو جريني المسمى (تاريخ طب الأسنان)، فيلادليفيا ١٩٠٩ معلوماتٍ ضئيلة. حتى كتاب س. ألجود لا يتضمن عن ذلك سوى جملاً قصيرة تعتمد على ما كتبه لينوس في كتابه (تاريخ طب الأسنان)، وقد قال ألجود في كتابه: «ولكنني لم أجد قطّ عند العرب أيّ فكرة خاصة بالأسنان الصناعية»(١١).

وسوف نبين فيما بعد خطأ ادعاء س. ألجود، وضحالة معلومات الآخرين حول هذا الموضوع.

«ثم كتب و. كاباوف بحثًا بعنوان (عن طب الأسنان عند العرب)، وكذلك ر. ر. تتمان بحثًا بعنوان (ماذا يقول الطبيب العربي الرازي في كتابه الحاوي نقلاً عن أطباء اليونان يتعلق بطب الأسنان)، ليبسك ١٩٢٥م. وفعل شيئًا مثل ذلك س. نايل، فتناول جراحة الأسنان في بحثه المسمى (جراحة الأسنان عند أبي القاسم الزهراوي) مقابلة بجراحتها عند مغاربة ترارزا. وقد سبق أن نشر ج. جروس عن الموضوع نفسه بحثه المسمى (فن الأسنان عند العرب - جراحة أبي القاسم الزهراوي).

ونشر س. إلياس خليفة، و أ. سامي حداد مقالتين عنوانهما (مقتطفات من الطب العربي) في مجلة أطباء الأسنان الأمريكية، مجلد ٢٤ سنة ١٩٣٧، و(وصف عربي لتقيح الأسنان في القرن العاشر) في المجلة نفسها. مجلد ٢٤ سنة ١٩٣٧.

وقد اعتمد برنارد وولف فاينبرجر على هذين المقالين في كتابه المسمى (مقدمة لتاريخ طب الأسنان) - سان لويس - ميسوري ١٩٤٨م. في الكلام عن طب الأسنان عند العرب، فأورد عنه في كتابه هذا مادة طيبة نسبيًّا(١٢).

وتناول مؤرخو الطب العرب مساهمات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأسنان بشكلٍ عرضي مختصر. وجاء أوسع ما كتب عن ذلك في كتاب (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) للدكتور محمد كامل حسين ومجموعة من العلماء، علمًا أن ذلك لم يفِ الموضوع حقه.

رابعًا - أهم المؤلفات التراثية التي تناولت طب الأسنان

يكاد لا يخلو أيّ كتابٍ طبيّ من كتب التراث من التكلم عن هذا الفرع المهم من فروع الطب، ولا يتسع المجال لسردها جميعًا، لذا سوف أذكر فيما يأتي أهمها:

يعدّ المؤرخون كتاب (فردوس الحكمة) المؤلف سنة ٨٥٠م، لعلي بن ربن الطبري (ت ٢٤٧هـ = ٨٦١م) أقدم كتاب عربي في الطب. علل الطبري في أحد الأبواب مسائل نبات الأسنان وسقوطها، وفي بابٍ آخر تكلم عن أمراض الفم والأسنان وعلاجها.

أما أقدم مؤلفٍ مستقل في طب الأسنان فهو (رسالة في حفظ الأسنان واستصلاحها)، لحنين بن إسحق (١٩٤ - ٢٦٠هـ - ٨١٠ - ٨٧٣م)، ثم جاء أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ - ٣١٣هـ = ٨٦٥ - ٩٢٥م)، فتكلم عن أمراض الأسنان في الجزء الثالث من كتابه الحاوي. وتبعه علي بن العباس المجوسي (نحو ٤٠٠هـ = ١٠١٠م)، فتحدث في الجزء الأول من كتابه (كامل الصناعة الطبية) عن العلل العارضة في أعضاء الفم وأسبابها وعلاماتها، وفي الجزء الثاني عن علاج الأسنان، وقروح اللثة وأورامها، ونتن الفم والبخر.

وتناول ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧م) تشريح الأسنان في الجزء الأول من كتابه

(القانون في الطب)، وفي الجزء الثاني تناول أحوال الأسنان وأوجاعها وعلاجها، وأمراض الفم واللثة وعلاجها.

وكانت كتابات أبي القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٣٢٦ - ٤٢٧هـ = ٩٣٧ - ١٠٣٦م) في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) ذات أهميةٍ خاصة بالنسبة لطب الأسنان، وبخاصة المسائل المتعلقة بالجراحة، وتقويم الأسنان.

وأخيرًا نذكر أبا الفرج ابن القف (٦٣٠ - ٦٨٥هـ = ١٢٣٢ - ١٢٨٦م) حيث تكلم بشيءٍ من التفصيل عن تصنيف الأسنان وجردها وقلعها في كتابه (العمدة في الجراحة).

نكتفي بهذا القدر من المؤلفات على سبيل المثال وليس الحصر، ولو حاولنا سردها جميعًا لطال الشوط، وهو ليس غرضنا في هذا المجال.

القسم الثاني: طب الأسنان عند الأطباء العرب والمسلمين

أولاً - وظيفة الأسنان وتشريحها

وصف الأطباء العرب والمسلمون الفم والأسنان (أنواعها، وعددها، ووظيفة كل منها)، فيقول ابن سينا في ذلك:

«الأسنان فهي اثنان وثلاثون سنًّا، وربما عدمت النواجذ منها في بعض الناس، وهي الأربعة الطرفانية، فكانت ثمانية وعشرين سنًّا، فمن الأسنان ثنيّتان ورباعيّتان من فوق، ومثلها من أسفل للقطع، ونابان من تحت للكسر، وأضراس للطحن من كل جانبٍ فوقاني وسفلاني أربعة... والنواجذ تنبت في الأكثر في وسط زمان النموّ، وهو بعد البلوغ إلى الوقوف، وذلك أن الوقوف قريبٌ من ثلاثين سنة، ولذلك تسمى أسنان الحلم.

وللأسنان أصولٌ ورؤوس محددة تركز في ثقب العظام الحاملة لها من الفكين... وهناك روابط قوية، وما سوى الأضراس فإن لكل واحدٍ من الرؤوس رأسان، وربما كان للناجذين ثلاثة رؤوس، وأما المركوزة في الفك الأعلى فأقل ما يكون لكل واحدٍ منها من الرؤوس ثلاثة رؤوس، وربما كان للناجذين أربعة رؤوس، وقد كثرت رؤوس الأضراس لكبرها وزيادة عملها، وزيد للعليا؛ لأنها معلقة، وليس لشيءٍ من العظام حسّ البتة إلا الأسنان»(١٣).

وعن أوقات نبات الأسنان يقول ابن الجزار القيرواني (٢٨٥ - ٣٦٩هـ = ٨٩٥ - ٩٨٠م) في كتابه (سياسة الصبيان وتدبيرهم): «فتنبت الأسنان والصبي من سبعة أشهر، ومنهم لأكثر من ذلك، ومنهم من يبدأ نبات أسنانهم من أسفل»(١٤).

بينما يقول أحمد بن محمد البلدي (كان حيًّا سنة ٣٦٨هـ = ٩٣٨م) في كتابه (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان): إنها تنبت «إذا أتت على الصبي تسعة أشهر، وربما تنبت لبعضهم في الشهر الخامس أو في العاشر، وأسافل الأسنان التي تنبت قبل أعلاها»(١٥).

وهكذا نجد أن ما ذكروه مقاربٌ لما نعرفه اليوم، حيث يظهر القاطع الأول السفلي عندما يبلغ الطفل شهره السادس، ولكن يعدّ ظهوره من الشهر الرابع إلى العاشر طبيعيًّا.

وعن زمان سقوط الأسنان اللبنية وظهور الأسنان الدائمة يقول علي بن ربن الطبري: «فأما الأسنان فإنها تسقط في السنة السابعة لرقة مادتها، حتى إذا صلبت اللثات خرجت الأسنان حينئذٍ أقوى مما كانت، ولم تسقط بعدها، فأما الأضراس فإن منها ما ينبت بعد عشرين سنة وأكثر أو أقل... وصارت الثنايا محددة لقطع الأغذية، وصارت الأضراس عريضة لطحن الأغذية»(١٦).

ويطلق ابن القف على النواجذ الأسنان غير الحقيقية، فيقول: «وأما الأسنان فمنها حقيقية، وهي النابتة من أول العمر، وغير حقيقية، وهي المسماة بالنواجذ، وتسمى أسنان الحلم...»(١٧).

ثانيًا - طب الأسنان الوقائي

١ - العناية بأسنان الأطفال والتسنين

من المعروف علميًّا أن أسنان الجنين تبدأ بالتكوّن قبل ولادته بستة أشهر، وهذا يعني أن العناية بأسنانه يجب أن تبدأ قبل ولادته، ويكون ذلك بتناول الحامل الأغذية الغنية بالكالسيوم والفوسفور والفلور والحديد. هذه الحقيقة لم يغفل عنها الأطباء العرب والمسلمون. يقول البلدي في ذلك:

«فأما الأغذية فلحم الفراريج والدراج والحجل ولحوم الجداء والحملان، متخذة بماء الحصرم وماء التفاح وماء الرمان وماء التمر هندي، والمشوي، والخبز النضيج»(١٨).

وقد ثبت علميًّا أن التسنين في الأطفال ليس مرضًا وغالبًا ما يمر بسلام دون أن يظهر على الطفل أي أعراض، وقد يتسبب عنه بعض الأعراض كالبكاء والقلق في أثناء النوم، ورفض الطعام نتيجة آلام اللثة، وزيادة في إفراز اللعاب، بينما نجد الأطباء العرب يبالغون في تعداد الاضطرابات التي تحدث نتيجة التسنين، وهم قد استورثوا ذلك الخطأ من الأطباء اليونان، يقول البلدي على سبيل المثال:

«وينبغي للمرضع أن تتلطف بسهولة لنبات الأسنان بمكان ما يعرض له من الوجع والحمى وتورّم اللثة والقيء والاختلاف والسهر والفزع، وباجتناب الطعام ووسخ العين وكثرة البصاق في ذلك الوقت، والكزاز مكروه إذا عرض بعد الحمّى»(١٩).

وبجانب ذلك نجد للبلدي أيضًا قولاً لا يتعارض مع الطب الحديث، حيث يتكلم عن أعراض التسنين فيقول:

«في مضيض اللثة العارض للصبيان - المضيض ضربٌ من اللذع والحك مع أذى ليس بالشديد جدًّا، فهذا يكون بالقرب من نبات الأسنان والأنياب»(٢٠).

٢ - الوقاية من أمراض الأسنان

ولمعرفة الأطباء العرب والمسلمين أهمية الأسنان نجد كتبهم قد غصت بالكثير في مجال طب الأسنان الوقائي، فقدموا النصائح والإرشادات للعناية بالأسنان والفم ووقايتها من الألم والتسوس والأمراض الأخرى. نذكر فيما يأتي بعضًا من أقوالهم:

جاء في باب «قول في حفظ الأسنان» لحنين بن إسحاق(٢١) (١٩٤هـ = ٨١٠م - ٢٦٠هـ = ٨٧٣م) ما يأتي:

«مما ينبغي أن يتجنب في ذلك إدمان مضغ الأشياء المتينة العلكة».

«الشيء البارد والمفرط البرد من الماء البارد والثلج ومما يبرد سواهما، ولا سيّما بعد تناول الطعام الحار».

«أن يبقى فيما بينها شيءٌ من الطعام، فينبغي أن يتلطف لتنقية الأسنان مما يبقى فيما بينها من غير أن تنكأ اللثة بالعنف عليها في استعمال الخلال، فإن ذلك مما يضر الأسنان».

ويذكر الرازي إضافةً لما سبق:

«ويُعنى بغسلها وتنظيفها متى وقع قيء أو أكل، وليستن ويستاك باعتدال، ويحذر الأشياء التي تضر بها»(٢٢).

والمقصود بكلمة يستن: أي يستعمل الأدوية الخاصة والمساحيق المنظفة للأسنان، تفرك لثته وأسنانه بها، وهذه الأدوية أطلقوا عليها (السنون). ويجمل ابن سينا(٢٣) الوسائل لحفظ صحة الأسنان في ثمانية أشياء منها ما لا يزال مقبولاً اليوم.

١ - أن يتحرز عن تواتر فساد الطعام والشراب في المعدة.

٢ - أن لا يُلحّ على القيء.

٣ - أن يتجنب مضغ كلّ علك.

٤ - اجتناب كسر الصلب.

٥ - اجتناب المضرّسات «كالحوامض والتوابل».

٦ – اجتناب كل شديد البرد على الحار خاصّة.

٧ – أن يديم تنقية ما يتخلل الأسنان.

٨ – اجتناب أشياء تضرّ الأسنان بخاصيتها مثل الكراث.

ثالثًا – أمراض الأسنان

١ – أوجاع الأسنان وعلاجها

تناول الأطباء العرب والمسلمون أوجاع الأسنان بشكلٍ مفصّل، نورد فيما يأتي بعضًا من أقوال ابن سينا، في ذلك على سبيل المثال. يقول ابن سينا:

«اعلم أن الأسنان قد توجع بسبب وجع في جوهرها... وقد يكون لسبب وجع يكون في العصبة التي في أصلها، وقد يكون لسبب وجع يكون في اللثة وورم وزيادة لحم نابت فيها...».

«وأسباب أوجاع الأسنان إما سوء مزاج ساذج من برد أو حرّ أو جفاف؛ لعدم الغذاء في المشايخ... أو مادة أو ريح... وقد توجع الأسنان في الحميات الحادة على سبيل المشاركة في سوء المزاج...»(٢٤).

ويعطي ابن سينا لكل نوعٍ من أوجاع الأسنان العلاج الذي يراه مناسبًا، ولو وزنّا أقواله بميزان علومنا اليوم لوجدنا فيها الكثير من الآراء الصحيحة بجانب بعض الأخطاء التي لا نُقرّه عليها. ومهما يكن من أمر فإن تلك الأقوال تعكس علم ذلك الزمان، الذي لم يكن فيه من وسائل التشخيص الحديثة ووسائل العلاج التي عندنا اليوم؛ ويمكن إجمال آرائه في علاج أوجاع الأسنان بما يأتي(٢٥):

١ – استعمال الفصد والإسهال في حالات كون الوجع بمشاركة عضوٍ آخر.

٢ – استعمال الكثير من الأدوية على شكل مضمضات وغرغرات.

٣ – استعمال عددٍ آخر من الأدوية على شكل طلاءٍ وضماد على السنّ واللثة.

٤ – كمادات من الخارج.

٥ – ثقب السنّ.

٦ – كيّ السنّ بدون ثقب بوساطة مسلات حديد محمية ومغموسة بالزيت، أو كيّ السن بعد ثقبه بصبّ بعض الأدوية الساخنة أو الزيوت في الثقب.

٧ – حشو الأسنان المتآكلة ببعض الأدوية.

٨ – الأدوية المخدرة كانت مفضلة لتأثيرها المسكّن، وتستعمل إما ملطوخة، وإما محشوة، وإما على شكل مضمضات وبخورات، وإما عن طريق الفم.

٩ – استعمال الماء البارد المثلج في الفم مرّات متكررة، حتى تخدر السنّ فيسكن الوجع.

ولحنين بن إسحاق ملاحظة صائبة عند معالجة سن معينة:

«وينبغي إن أردت أن تطلي على سنّ أو على ضرس بعض الأدوية الحارة أن تلبس على سائر الأسنان والأضراس شمعًا كي لا يضرَّها»(٢٦).

٢ – تسوس الأسنان

يعدّ التسوس المرض الأول أو الرئيس المسبب لآلام الأسنان، وهو مرض كل الأعمار، حيث تصاب به الأسنان اللبنية والدائمة. وبالنسبة للأسنان اللبنية يأتي التسوس نتيجة لبقايا الحليب في الفم.

كذلك يحدث التسوس في الأسنان الدائمة حيثما بقيت في الفم بقايا الطعام، فإن البكتريا تنشط لالتهام تلك البقايا، وينتج عن النشاط الحيوي في خلايا البكتريا مادة حمضية، تؤدي إلى تذويب طبقة الميناء، مؤدية إلى آلام الأسنان(٢٧).

يقول ابن هبل في ذلك:

«تتكسر الأسنان وتتثقب بسبب رطوبة رديئة تتعفن فيها وتعفنها».

وفي موضعٍ آخر يقول: «وأما تكسّر الأسنان وتفتتها فقد يكون عن الرطوبة، ويدل عليه تغيّر اللون والتآكل»(٢٨).

ويقول ابن سينا في تغيّر لون الأسنان:

«قد يكون ذلك لتغيّر لون ما يركبها من الطلاوة، فيحدث قلح، وربما تحجّر في أصول السن يعسر قلعه، وقد يكون لمادة رديئة تنفذ في جوهر السن، وتتغيّر فيها، ويفسد لونها إلى باذنجانية»(٢٩).

٣ - الرواسب الجيرية على الأسنان وإزالتها

الرواسب الجيرية، حسب آراء أطباء الأسنان اليوم، كتلة متكلّسة، تتكون على سطح الأسنان والضروس، وهي نوعان: النوع المرئي الموجود فوق اللثة، ويكون مائلاً إلى البياض، أو أبيض مصفرًّا، صلب القوام، ويتغير لونه حسب المواد الملوثة الموجودة في الطعام أو بالتدخين.

النوع غير المرئي، أو الموجود تحت اللثة، ويمكن تشخيصه بوساطة المجسّ، ويكون في الغالب صلبًا، يميل لونه إلى اللون البنيّ القاتم، أو الأخضر المائل للسواد، كما يكون ملتصقًا جدًّا بالسن(٣٠).

وتلعب هذه المواد الجيرية في حدوث أمراض اللثة والأسنان المختلفة؛ لأنها تكون مرتعًا لتكاثر الجراثيم، ويجب إزالة جميع هذه المواد الجيرية بوساطة طبيب الأسنان، وكذلك الاعتناء بنظافة الفم باستعمال الفرشاة والمعجون أو السواك.

وجاء اهتمام الأطباء العرب والمسلمين بإزالة الرواسب القلحيّة ملفتًا للنظر، مما يشكل نظرة عصرية لهذه الناحية؛ يقول ابن سينا في ذلك: «في تغيّر لون الأسنان قد يكون ذلك لتغيّر لون ما يركبها من الطلاوة، فيحدث قلح، وربما تحجر في أصول السن تحجرًا يعسر قلعه، وقد يكون لمادة رديئة تنفذ في جوهر السن وتتغير فيها أو يفسد لونها إلى باذنجانية ونحوها من غير أن يكون عليها قلح»(٣١)، ثم يصف العلاجات لكل حالة على حدة.

ويقول الزهراوي عن ذلك:

«قد يجتمع في سطوح الأسنان من داخل ومن خارج وبين اللثات قشور خشنة قبيحة، وقد تسودّ وتصفرّ وتخضرّ حتى يصل من ذلك فساد إلى اللثة، وتقبح الأسنان لذلك»(٣٢).

وقد ذكر الأطباء العرب أنواعًا عديدة من السنونات (مساحيق الأسنان ومعاجينها أو محاليلها)؛ لجلاء الأسنان أو لمنع تآكلها.

٤ - تحرك الأسنان وسقوطها

من المعروف اليوم أن الذي يثبت الأسنان الدائمة جذورها التي تدخل في عظام الفكين، ويساعد على استقرارها وثباتها الأنسجة حول السن وتكويناتها واللثة، ولهذا يأتي سقوط الأسنان نتيجة تأثير فيزيائي، كالسقوط والضربة على الأسنان؛ وهذه ليست حالة مرضيّة، وكذلك أسنان الكهول. فبصورة عامة يبدأ التهاب اللثة ثم الأنسجة الرابطة حول السنّ، ويتألم عظم الفك المحيط بالأسنان، وبالتالي يؤدي إلى حركة السن وتزعزعه أو تقلقله وفقدانه بعد ذلك. ويحدث ذلك إما من كمية خارجية أو جرح، أو من تجمع الصفيحة الجرثومية وترسبها بين اللثة الحرّة والأسنان، وبتأثيرها في الأنسجة حول السنّ تتمزق وتتلف الأنسجة الرابطة بين اللثة والسنّ والعظم الفكيّ، فتتكون فراغات حوله تؤدي إلى سقوطه(٣٣).

وقد عرف الأطباء العرب والمسلمون أغلب العوامل التي تؤدي إلى سقوط الأسنان، نذكر فيما يأتي أقوال نفيس بن عوض الكرماني (المتوفى سنة ٨٥٣هـ = ١٤٤٩م) في كتابه: (شرح الأسباب والعلامات) حيث استطاع الإحاطة بقسم كبير من العوامل التي تؤدي في النهاية إلى سقوط الأسنان، إلاّ أنه لم يكن موفقًا في الربط بين تكوين الأسنان اللبنية والدائمة، وعدّها أحد الأسباب في هذا الموضوع؛ لعدم معرفته بوجود براعم الأسنان الدائمة تحت اللبنية، التي ستنمو مع جذورها، والتي سترتكز في حفر الفكين.

يقول الكرماني(٣٤) إن «تحرك الأسنان فسقوطها يكون:

– إما من سعة الأواري (الثقوب)، التي يرتكز فيها السن، كما يحدث للصبيان ذلك؛ لأن الطبيعة يسقطها لضعفها وصغرها في أصل الخلقة وفساد اللبن لها... فتوسع الطبيعة الأواري ليحدث مكانها أسنان هي أعظم من الأولى وأقوى على المضغ والكسر... فيسقط الأسنان الأولى وتثبت مكانها أقوى من تلك...».

– «وإما من نقصان السن ويبسها وضمورها، وذلك إما أن يعرض للمشايخ، ولا علاج له؛ لأنه شيء سلك إلى الذبول والهلاك وانتهى إليه من تحليل الرطوبة الغريزية، وليس ذلك يعرض لهم من هزال الأسنان فقط، بل من نقصان لحم اللثة الذي يحيط ويمسكها أيضًا، وإما أن يعرض لغور الغذاء كما يعرض للناقهين والذين جاعوا جوعًا متواليًا، وعلامته هزال البدن وغور العينين...».

– «وقد يعلق السن من رطوبة رقيقة ترخي اللثة والعصب الشاد للسنّ، وعلامته استرخاء اللثة وترهلها وكلالها من إدراك الأشياء الحارة والباردة...».

– «وإما ورم حارّ يعرض للثة فيتبرأ عن السنّ، وينفصل عنه؛ لتمدّد الورم، وعلامته شدة الوجع والضربان».

– «وإما من استرخاء اللثة، وتتبرأ عن السن لضعفها وقلة دمها لا من الرطوبة المرضيّة لها كما في الناقهين، وعلامة ذلك أنها تبيضّ وتظهر للحس كأن ليس فيها دم».

– «وإما من نقصان لحم اللثة وتآكلها بسبب انصباب مادة حِرّيفة أكّالة محرقة للدم».

– «وقد يقلق السن من سقطة أو ضربة».

رابعًا – العلاج الجراحي للأسنان

١ – جرد الأسنان

يذكر بعضهم(٣٥) أن الزهراوي كان أول من وصف طريقة جرد الأسنان بالآلات؛ فبعد أن يتكلم عن الرواسب الجيرية (كما مرّ سابقًا) كلامًا علميًّا صحيحًا يقول عن جرد الأسنان بالحديد: «فينبغي أن تجلس العليل بين يديك، ورأسه في حجرك، وتجرد الضرس والسن الذي ظهر لك فيه القشور والشيء الشبيه بالرمل حتى لا يبقى منه شيء، وكذلك تفعل بالسواد والخضرة والصفرة وغير ذلك حتى تنقى، فإن ذهب ما فيها من أول الجرد وإلا فتعيد عليه الجرد يومًا آخر وثانيًا وثالثًا حتى تبلغ الغاية فيما تريد، واعلم أن الضرس يحتاج إلى مجاريد مختلفة الصور كثيرة الأشكال على حسب ما يتهيأ لعملك، من أجل أن المجرد الذي يجرد به الضرس من داخل غير المجرد الذي يجرد به من خارج، والذي يجرد به بين الأضراس على صورةٍ أخرى، وهذه عدة صور مجارد تكون عندك كلها معدّة»(٣٦).

ويؤكد ابن هبل أقوال الزهراوي في علاج الرواسب الجيرية فيقول:

«إذا كان السبب فيه ركوب الطلاوة وتراكمه إلى أن يصير قلحًا، فيستن الإنسان بما يجلو الأسنان»، ثم يذكر أنواعًا من العلاجات، ثم يقول: «والقلع إذا قوي وأزمن لم يقلعه إلا الجرد بالحديد، وإن كان تغير لون السنّ بسبب مادّةٍ تغوص في جوهره وتغير لونه إلى السواد أو إلى الباذنجانية... فتستعمل السنونات المحللة»(٣٧).

ثم يذكر أنواعًا من هذه السنونات (وهي الأدوية التي تدلك بها الأسنان).

إن هذه الأقوال جميعًا تدلّ بلا شكّ على خبرة الأطباء العرب والمسلمين العلمية. كما أن وصف الزهراوي للمجارد المختلفة والتفنن في تطوير الآلات الجراحية حسب الغرض المطلوب من الآلة ورسمها تشير بشكلٍ قاطع إلى سعة مداركه ونبوغه وسبقه في حقل صناعة الأدوات الجراحية، وبخاصة جراحة الفم والأسنان.

٢ – حشو الأسنان والعلاج التحفظي للأسنان

تكلم أغلب الأطباء العرب والمسلمين عن ذلك:

يقول ابن سينا في فصل: «في تنقب الأسنان وتآكلها: يعرض ذلك كله من رطوبة رديئة تتعفن فيها».

وعن العلاج التحفظي للأسنان من التسوس يقول:

«الغرض في علاج التآكل منع الزيادة على ما تآكل، وذلك بتنقية الجوهر الفاسد منه، وتحليل المادة المؤذية إلى ذلك، ويمنع السنّ أن تقبل تلك المواد وتصرف تلك المواد عنها»(٣٨). ثم يذكر أنواعًا من الحشوات مركبة من عدد من الأدوية النباتية، وبعضها تحوي البورق أو التراب، وتعمل على شكل أطلية أو عجينة مع مواد مخدرة ومسكنة للألم يحشى بها السن.

وعلى سبيل المثال يقول: «فمن ذلك أن تحشى بسكّ وسعد، أو سكّ ممسّك وحده؛ فإنه يمنع التآكل ويسكن الوجع، أو يحشى بمصطكى وسعد، أو بمر، ... أو بميعة وأفيون... أو بسكّ وعلك البطم والفوتنج... أو بالقير وحده»(٣٩). ويذكر العديد من الحشوات، ولا يتسع المجال لذكرها جميعًا هنا.

٣ - ثقب السن وكيّه

يقول الدكتور محمد كامل حسن: «ونرى لدى الأطباء العرب محاولاتٍ لعلاج لبّ السن بالفتح، وإراحة الضغط في غرفةً اللب، وكيّ محتوياته من الأنسجة»(٤٠). إلا أننا وجدنا أن جالينوس قد سبق إلى ذلك، فكما مرّ في بداية البحث نقل الرازي عن جالينوس هذا القول: «إذا اشتد الوجع فبخّر فم العليل ينفع، فإن لم يسكن فاثقب وسط السن بمثقبٍ دقيق، وقطّر فيه الزيت المغلي مرات، فإن لم يسكن فاقلعه».

ويقول ابن سينا: «وربما احتيج في الكاويات إلى أن تثقب السنّ بمثقب؛ لتنفذ فيه القوة الكاوية، وإذا لم تنجح المعالجات كويت السنّ بالمسلة المحمّاة مرات... فيسكن الوجع»(٤١).

كما استعمل الأطباء المسلمون الكيّ الحراري؛ لإيقاف تسوس الأسنان وإزالة ما حولها من لحمٍ أو زوائد في اللثة(٤٢).

يقول الزهراوي في كيّ وجع الضرس:

«إذا كان وجع من قبل البرد، أو كان فيها دود، ولم ينجح فيه العلاج بالأدوية، فالكيّ فيها من وجهين، إما الكيّ بالسمن، وإما الكيّ بالنار.

أما الكيّ بالسمن فهو أن تأخذ السمن البقري، فتغليه في مغرفة حديد، ثم تأخذ قطنة، فتلفّها على طرف المرود، ثم تغمسها في السمن المغلي، وتضعها على السنّ الوجعة بالعجلة، وتمسكها حتى تبرد، ثم تعيدها مرات...».

«وأما كيّها بالنار، فهو أن تعمد إلى أنبوبة نحاس أو حديد، ويكون في جرحها (داخلها) بعض الغلظ؛ لئلا يصل حرّ النار إلى فم العليل، ثم احم المكواة التي صورتها، وتضعها على السنّ نفسها، وتمسك يدك حتى تبرد المكواة، تفعل ذلك مرات»(٤٣).

وهذه الطريقة مبتكرة، لم يسبقه أحدٌ في استعمالها، ولا تزال تستعمل بالفكرة نفسها والتصميم نفسه إلى الآن.

ويقول سنجر: «ثم أتيحت لهذه الوسائل الإسلامية عودة للظهور ثانيةً على يد الطبيب الإيطالي فابريكوس من اكوابدانت (١٥٣٣ - ١٦١٩) الذي كان يستعمل مثقابًا يدويًّا، ثم الكيّ الحراري؛ لتنظيف تجاويف الأسنان وثقوبها، ثم ملئها بحشوٍ من الذهب»(٤٤).

٤ - قلع الأسنان

جاءت أقوال الزهراوي في ذلك غاية في الدقة، ودليلاً على خبرة عميقة وممارسة أكيدة.. يقول في ذلك:

«ينبغي أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة، وتتوانى عن قلعه، فليس منه خلف إذا قلع؛ لأنه جوهرٌ شريف، حتى إذا لم يكن بدّ من قلعه، فينبغي إذا عزم العليل على قلعه أن تتثبت حتى يصح عندك الضرس الوجع؛ فكثيرًا ما يخدع العليل الوجع، ويظن أنه في الضرس الصحيح، فيقلعه، ثم لا يذهب الوجع حتى

يقلع الضرس المريض... فإذا صحّ عندك الضرس الوجع بعينه، فحينئذٍ ينبغي أن تشرط حول السن بمبضعٍ فيه بعض القوة حتى تحل اللثة من كل جهة، ثم تحركه بأصابعك أو بالكلاليب اللطاف أولاً قليلاً قليلاً حتى تزعزعه، ثم تمكن حينئذٍ الكلبتين الكبار تمكينًا جيّدًا، ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته لا يتحرك، ثم تجذب الضرس على استقامة لئلا تكسره، فإن لم يخرج، وإلا فخذ إحدى تلك الآلات فأدخلها تحته من كل جهة برفق، ورم تحريكه كما فعلت أولاً، وإن كان الضرس مثقوبًا أو متآكلاً، فينبغي أن تملأ ذلك الثقب بخرقة وتسدها سدًّا جيّدًا بطرف مرود رقيق؛ لئلا يتفتت في حين شدك عليه بالكلاليب، وينبغي أن تستقصي بالشرط حول اللثة من كل جهةٍ نعمًا، وتحفظ جهدك لئلا تكسره، فيبقى بعضه، فيعود على العليل منه بلية أعظم من وجعه الأول...»، «فإن حدث نزيف دم... فاسحق حينئذٍ شيئًا من الزاج واحشِ الموضع، وإلا فاكوه»(٤٥).

ثم يتكلم في الفصلين الأخيرين بعد ذلك عن كيفية قلع أصول الأضراس وبإخراج عظام الفكوك المكسورة والأضراس الزائدة، ويصف أنواع الكلاليب والجفوت والمباضع مع صورها.

وهكذا نجد كيف فصّل الزهراوي عملية قلع الأسنان، وجاءت أقواله مطابقة لما ينادي به أطباء الأسنان اليوم، حيث يمكن إيجازها بما يلي:

١ – بذل أقصى المحاولات لمعالجة السنّ قبل الإقدام على قلعه؛ لكونه ذا قيمة لا تعوض بالنسبة للإنسان.

٢ – التأكد القطعي من السنّ المصابة لكي لا يحدث خطأ، ويقلع سنًّا سليمة بدله.

٣ – محاولة قلع السنّ دون تعريضها للكسر.

٤ – التفنن بصنع الآلات المستعملة حسب الحاجة إليها. التي أصبحت بتحويرٍ بسيط تشكّل اليوم أجزاء من الآلات التي تستعمل لهذه الغاية.

٥ – تقويم الأسنان

لعل أول ما ورد في الكتابات العربية عن تقويم الأسنان ما ذكره الزهراوي(٤٦) في فصل (نشر الأضراس الثابتة على غيرها)، يقول: «الأضراس إذا نبتت على غير مجراها الطبيعي قبحت بذلك الصورة، ولا سيّما إذا حدث ذلك في النساء... فينبغي أن تنظر، فإن كان الضرس قد نبت من خلف ضرسٍ آخر، ولم يتمكن نشره ولا برده فاقلعه، وإن كان ملصقًا بضرسٍ آخر فاقطعه بهذه الآلة التي هذه صورتها»، «ويكون قطعك له في أيام كثيرة لصلابة الضرس، ولئلا تزعزع غيرها من الأضراس، وأما إن كان ناتيًا متمكنًا فابرده بمبرد من هند تكون هذه صورته...»، «تبرد به الضرس قليلاً قليلاً في أيامٍ كثيرة برفقٍ؛ لئلا تزعزع الضرس فيسقط، ثم تملسه آخرا وتجرده ببعض المجارد، وإن كان ضرس قد انكسر منه بعضه، فكان يؤذي اللسان عند الكلام، فينبغي أن تبرده أيضًا حتى تذهب بخشونة ذلك الكسر، ويستوي ويملّس ولا يؤذي اللسان»(٤٧).

تشبيك الأسنان وشدها بالذهب

إن أقدم ما وصل إلينا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين حول تشبيك الأسنان وشدها بالذهب كان قول الرازي: «إذا لم ينفع شدّ اللثة، وبقي السنّ متحركًا، فاكوِ أصله وشدّه بسلسلة ذهب».

وهكذا وصف لأول مرة تجبير الأسنان وتثبيتها كعلاج(٤٨). علمًا أنّ مسألة تشبيك الأسنان وشدّها بالذهب كانت معروفة لدى العرب والمسلمين منذ وقتٍ مبكر، حيث يُروى أن عثمان رضي الله عنه كانت أسنانه مشدودة بالذهب.

وتكلّم الزهراوي أيضًا عن الأسنان المتحركة وتثبيتها، فقال: «إذا عرض للأضراس القدّامية تزعزع وتحرك عن ضربة أو سقطة... وعالجتها بالأدوية... فلم ينجح فيها العلاج، فالحيلة فيها أن تشدّ بخيط ذهب وفضة، والذهب أفضل؛ لأن الفضة تتزنجر وتتعفن بعد أيام، والذهب باقٍ على حاله أبدًا،

لا يعرض له ذلك، ويكون الخيط متوسطًا في الرقة والغلظ على قدر ما يسع بين الأضراس. وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل رأسيه بين الضرسين الصحيحين، ثم تنسج بطرفي الخيط بين الأضراس المتحركة واحدة كانت أو أكثر، حتى تصل بالنسج إلى الضرس الصحيح من الجهة الأخرى، ثم تعيد النسيج التي بدأت فيها، وتشدّ يدك برفق وحكمة حتى لا تتحرك البتة، ويكون شدّك الخيط عندً أصول الأضراس لئلا يفلت، ثم تقطع طرفي الخيط الفاضل بالمقص، وتجمعهما وتفتلهما بين الضرس الصحيح والضرس المتحرك؛ لئلا يؤذي اللسان، ثم تترك هكذا مشدودة ما بقيت، فإن انحلت أو انقطعت شددتها بخيطٍ آخر، فيستمتع بها هذا الدهر كله...»(٤٩).

٦ - الاستعاضة الصناعية للأسنان

تنبه الأطباء العرب والمسلمون إلى أن الأسنان الصناعية مشكلاتها أحسن ألف مرة من عدم وجود أسنان، لذلك في حالة سقوط بعضها نتيجة حادثٍ أو تقدّم السن نصحوا بإعادة تثبيتها أو تعويضها بأسنانٍ مصنّعة من عظام البقر أو العاج. يقول الزهراوي: «وقد ترد الضرس الواحد أو الاثنين بعد سقوطهما في موضعهما، وتشبك كما وصفنا وتبقى، وإنما يفعل ذلك صانع دَرِب رفيق، وقد يُنحت عظم من عظام البقر، فيُصنع منه كهيئة الضرس، ويجعل في الموضع الذي ذهب منه الضرس، ويشدّ كما قلنا، فيبقى ويستمتع بذلك»(٥٠).

ويقول ابن القف: «وقد يتخذ سنّ من عظم أو من عاج، ويركز عوض سنّ قد سقطت، ويشد بالشريط المذكور»(٥١).

ومسألة صناعة الأسنان من العظام أو العاج تعدّ بغير شكّ قفزة نوعية في هذا العلم.

خامسًا - أمراض الفم

١ - القروح العارضة في أفواه الصبيان (الأطفال)

ما جاء ذكره لدى الأطباء العرب والمسلمين في هذا الباب هو الحديث عن القروح، والقلاع، والبثر، والحر. نذكر فيما يأتي بعضًا من أقوالهم:

يقول الرازي عن تقرحات الفم في الأطفال بشكلٍ عام: «تحدث التقرحات في فم الطفل في الجزء الأولً من أدوار حياته من رداءة الحليب أو غلظه... علامة النوع الحادّ احمرار مع ألمٍ شديد وجريان اللعاب، وعلامة النوع البسيط هو أنّ التقرحات تتلون بلونٍ أبيض، وقليلة الألم، ويزداد جريان اللعاب في الفم»(٥٢). ويبدو من كلام الرازي أنه يصف نوعين من التهابات الفم في الوليد قبل ظهور الأسنان، النوع الذي سماه البسيط هو ما نطلق عليه اليوم التهاب الفم نتيجة الفطريات، والنوع الآخر الذي يحدث نتيجة الفيروسات.

ويقول البلدي عن القلاع: «القلاع اسمٌ يدل على القروح العارضة في سطح الغشاء المحيط باللسان، وما يغشى داخل الفم، وبخاصة إذا كان معها حرارة نارية محرقة. أكثر ما تعرض هذه العلة للأطفال إما لرداءة كيفية لبن المرضعة، وإما للين الآلات من الطفل ورطوبتها حتى لا تحتمل ملاقاة اللبن»(٥٣). ثم يعدد أنواع القلاع:

١ - القلاع الخفيف.
٢ - الدبابة، (يقول عنها: وهي التي تكون من عفونة).
٣ - القلاع الشديد.
٤ - القلاع الأحمر.
٥ - القلاع الذي يكون لونه برّاقًا.
٦ - القلاع المائل إلى البلغم (غير برّاق).
٧ - القلاع المائل إلى السواد.

ويصف لكل نوعٍ من هذه الأنواع الأدوية الملائمة، وحسب عمر الطفل.

٢ - أمراض اللثة والبثر في الكبار

عالج الأطباء العرب أمراض اللثة بالأدوية والجراحة، فإذا كانت مسترخية فلا بدّ من علاجها بالأدوية القابضة، التي تشدّها خوفًا من تعرّض الأسنان إلى السقوط فيما لو بقيت مصابة

بالاسترخاء. إذا كان في اللثة وجعٌ بسبب ورمٍ أو التهاب، فمن الضروري التأكد منه والتمييز بينه وبين وجع الأسنان. يقول الرازي: «فإذا كان الوجع إنما هو في اللثة وحدها تكون اللثة تتوجع إذا غمزت عليها، فالفضل حينئذٍ في اللثّة وحدها، فلا ينبغي حينئذٍ أن يتعرض لقلعٍ شيءٍ من الأسنان»(٥٤).

«وقد يحدث في اللثّة خرّاج صغيرة، أو ينبت فيها لحم زائد، ففي حالة الخراج يجب شقه بمبضع حتى يخرج القيح منه، كما يمكن أن يستأصل الخراج جميعه بالتقوير»(٥٥).

وعن قروح اللثة يقول ابن سينا: «قروح اللثة بعضها ساذجة، وبعضها مبتدئة في التعفن، وبعضها آخذة في التآكل»(٥٦)، ثم يصف العلاجات لكل نوعٍ منها.

وتكلم الزهراوي عن اللحم الزائد في اللثة فقال: «كثيرًا ما ينبت على اللثة لحمٌ زائد... فينبغي أن تعلقه بصنارة أو تمسكه بمنقاش وتقطعه عند أصله، وتترك المادة تسيل والدم، ثم تضع على الموضع زاجًا مسحوقًا، أو أحد الذرورات القابضة المجففة، فإن عاد بعد ذلك اللحم، وكثيرًا ما يعود، فاقطع باقيه واكوه، فإنه لا يعود بعد الكيّ إن شاء الله تعالى»(٥٧).

وعن البثر في الفم يقول ابن سينا: «أكثر ما يتبثر الفم لحرارةٍ في نواحي المعدة والرأس وبخارات، وقد يكون في الحميات، وقد قيل إذا ظهر في الحميات الحادة بثورٌ سود في اللسان مات العليل في اليوم الثاني»(٥٨).

ربما يشير ابن سينا بقوله هذا إلى مرض التهاب اللثة التقرحي الحاد Acute Ulcerative Gingivitis .

٣ - رائحة الفم الكريهة وعلاجها

إن الأسباب التي ذكرها الأطباء العرب والمسلمون لرائحة الفم الكريهة لا تختلف كثيرًا عما نعرفه اليوم.

يُطلق علي بن ربن الطبري على ذلك اسم البخر، يقول: «وأما البخر فإنه يكون من رطوبة منتنة عفنة، تتولد في المعدة، أو عفونة اللثة، أو من طعامٍ يبقى بين الأسنان فينتن...»، «وإن كان من نتن الأنف ومن نبات لحمٍ في الأنف عولج بقطع ذلك...»، «وإن كان من تجلّب شيء منتن من الرأس إلى الأنف عولج بأن يكوى..»، «وإن كان من الأسنان، ويستدل عليه بالصفرة وبالتآكل وبالحفر، يقطع السنّ العفنة منها، ويبرد المتآكلة بالمبرد؛ ليستوي أطرافها، ويكوي أصول اللثة»(٥٩).

ويضيف ابن سينا سببًا آخر مهمًّا فيقول: «وقد تكون من نواحي الرئة كما يعرض لأصحاب السل»(٦٠).

سادسًا - جراحة الفم

١ - كسر الفك الأسفل والتهابه

كان علي بن العباس المجوسي(٦١) من أوائل من وصفوا كسر الفكّ الأسفل وصفًا صائبًا ودقيقًا، ثم تبعه الزهراوي(٦٢)، فذكر وصفًا يشبه وصف المجوسي إلاّ أنه أضاف تعليمات للمريض بالهدوء والسكون، وأن يكون غذاءَه الأحساء اللينة. وقدر لالتحام الفك المكسورة مدة ثلاثة أسابيع، كما تعرض للمضاعفات المحتملة كالأورام وغيرها وعلاجها.

ويشير الزهراوي أيضًا إلى ضرورة معالجة العفن إن وجد، فيقول: «فإن كان العظم فيه عفنٌ يسير فاجرده من عفنه وسواده حتى ينقى، ثم عالجه حتى يبرأ»(٦٣).

ويقول الرازي: «وقد رأيت من سقط فكه السفلاني كله بتتة، وما أسرع ما تبدر إليه العفونة والنواصير إذا كانت مدة تحت الضرس ولم تبادر بقلع ذلك، فكثيرًا ما يثقب اللحي حتى يصير للناصور رأس في الذقن بحذاء تلك السن أولاً، ثم عالجها بالدواء... وإذا كان الفساد فوق فإنه يُقلع منه عظام فقط؛ لأنه لا يمكن أن يفسد اللحي الأعلى كله إلا في صعوبة شديدة، فيبرأ حينئذٍ من عظام الخد»(٦٤).

٢ - الأورام

أ - العقد في الشفتين

يقول عنها الزهراوي: «أورام صغار يشبه بعضها

حب الكِرْسِنَّة، وبعضها أصغر، فينبغي أن تقلب الشفة وتشق على كل عقدة، وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة، ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاجٍ مسحوق حتى ينقطع الدم... وتعالج الموضع...»(٦٥).

ب - الأورام تحت اللسان

تحدث عن ذلك الزهراوي وعن كيفية التفريق بين أنواعها ومعالجة كل نوعٍ، فقال: «قد يحدث تحت اللسان ورمٌ شبيه بالضفدع الصغير، يمنع اللسان عن فعله الطبيعي... وربما عظم حتى يملأ الفم. والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس، وتنظر فيه، فإن رأيته كمد اللون وأسود صلباً، ولم يجد له العليل جسّا، فلا تعرض له فإنه سرطان، وإن كان مائلاً إلى البياض فيه رطوبة فالق فيه الصنارة وشقه بمبضع لطيف من كل جهة... حتى تخرجه بكماله...»(٦٦).

ج - أورام اللسان

يقول عنها ابن سينا: «قد يعرض للسان أورامٌ حارة، وأورامٌ بلغمية، وأورامٌ ريحية، وأورامٌ صلبة وسرطان»(٦٧). ثم يذكر علاج كل نوع.

٣ - قطع الرباط تحت اللسان ويمنع الكلام Tonguetie

يقول الزهراوي حول ذلك: «قد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان، إما طبيعيًّا يولد به الإنسان، وإما أن يكون من جرحٍ قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل في حجرك، وترفع لسانه، ثم تقطع ذلك الرباط بالعرض حتى ينطلق اللسان من إمساكه... واحذر أن يكون الشقّ في عمق اللحم، فيقطع شريانًا هناك، فيعرض النزف. ثم ضع تحت اللسان فتيلة من كتّان، يمسكها العليل كل ليلة، لئلا تلتحم ثانية. فإن حدث نزفٌ فضع على المكان زاجًا مسحوقًا، فإن غلبك الدم فاكوِ الموضع»(٦٨).

وبذلك نأتي على نهاية هذا البحث الذي حاولنا فيه إبراز المفهوم العام لطب الأسنان عند الأطباء العرب والمسلمين قبل أكثر من ألف سنة، هذا المفهوم الذي لا نزال نجد فيه الكثير من الآراء وطرق العلاج التي تتفق وسير أحدث المفاهيم العصرية لطب الأسنان اليوم. ●

●●●

الحواشي

١ - الطب الأكدي: ١٥٠.
٢ - الطب الآشوري: ٣ - ٤.
٣ - صحتك في فمك: ٨.
٤ - طب الأسنان عند العرب: ٢٢٩.
٥ - كيف نشأ طب الأسنان القديم في الشرق القديم: ٦٥.
٦ - الحاوي في الطب: ٣/٩٣، ٩٥، ٩٦، ١١٧.
٧ - تاريخ الخلفاء: ١٥٠.
٨ - لسان الميزان: ٣/٢٢٠.
٩ - طب الأسنان عند العرب: ٢٢١.
١٠ - الترغيب والترهيب: ٣/١٢٠.
١١ - طب الأسنان عند العرب: ١٩٩.
١٢ - المصدر نفسه: ٢٠٠.
١٣ - القانون في الطب: ١/٢٨.
١٤ - سياسة الصبيان: ١٠٦.
١٥ - تدبير الحبالى والأطفال والصبيان: ٢٠٨.
١٦ - فردوس الحكمة: ٤٧.
١٧ - العمدة في الجراحة: ١/٢١.
١٨ - تدبير الحبالى والأطفال والصبيان: ١٢٧.
١٩ - المصدر نفسه: ٢٠٩.
٢٠ - المصدر نفسه: ٢٧٥.
٢١ - رسالة في حفظ الأسنان: ٥.
٢٢ - المنصوري: ٢٢٣.
٢٣ - القانون: ٢/١٨٤.
٢٤ - المصدر نفسه: ٢/١٨٦.
٢٥ - للمزيد من التفصيل يراجع المصدر السابق نفسه.
٢٦ - رسالة في حفظ الأسنان: ١٦.
٢٧ - الفم وأمراضه: ١٧ - ١٨.
٢٨ - المختارات في الطب: ٣/ ١٧٧ - ١٧٨.
٢٩ - القانون: ٢/١٩١.
٣٠ - صحتك في فمك وأسنانك: ٨٤.
٣١ - القانون: ٢/١٩١.
٣٢ - التصريف لمن عجز عن التأليف: ٢٧٥.
٣٣ - المقارنة بين التقسيمات المرضية لشرح الأسباب والعلامات والتقسيمات الحديثة لأمراض الأسنان واللثة: ١/١٣٣.
٣٤ - شرح الأسباب في الطب النافع للأصحاب: ورقة ٤٩.
٣٥ - «دراسة وتعليق على كتاب التصريف، الجزء الثلاثون للزهراوي»، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد ٢٦/ ٢/٥٠٦.
٣٦ - التصريف: ٢٧٥.
٣٧ - المختارات: ٣/١٧٨.

٣٨ – القانون: ١٩١/٢.
٣٩ – القانون: ١٩٠/٢.
٤٠ – الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب: ٢١١.
٤١ – القانون: ١٨٩/٢.
٤٢ – مختصر تاريخ الطب: ٨.
٤٣ – التصريف: ٩٧.
٤٤ – مختصر تاريخ الطب: ٩.
٤٥ – التصريف: ٢٧٩ – ٢٨١.
٤٦ – الموجز: ٢١٧.
٤٧ – التصريف: ٢٩١، ٢٩٣.
٤٨ – الموجز: ٢١٥.
٤٩ – التصريف: ٢٩٥.
٥٠ – التصريف: ٢٩٧.
٥١ – العمدة في الجراحة: ١٩٧/٢.
٥٢ – رسالة تدبير الصبيان.
٥٣ – تدبير الحبالى والأطفال والصبيان: ٢٧١ – ٢٧٤.
٥٤ – الحاوي: ١٩٢/٣.
٥٥ – الحاوي: ٢٤٨/٣.
٥٦ – القانون: ١٩٤/٢.
٥٧ – التصريف: ٢٧٣.
٥٨ – القانون: ١٨٠/٢.
٥٩ – فردوس الحكمة: ١٨٧.
٦٠ – القانون: ١٨٣/٢.
٦١ – كامل الصناعة الطبية: ٥٠٤/٢.
٦٢ – التصريف: ٧٢٠.
٦٣ – التصريف: ٢٨٩.
٦٤ – الحاوي: ٢٤٩/٣.
٦٥ – التصريف: ٢٧١.
٦٦ – التصريف: ٣٠١.
٦٧ – القانون: ١٧٨/٢.
٦٨ – التصريف: ٢٩٧.

المصادر والمراجع

ابن إسحاق : حنين.
– رسالة في حفظ الأسنان، تح. نجاة زكريا يوسف، وزكريا يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣م.

أوتوشبيس.
– طب الأسنان عند العرب، ترجمة حسين مؤنس، مجلة الدراسات الإسلامية، مجلد ١٤، مدريد، ١٩٦٧م – ١٩٦٨م.

البدري : عبد اللطيف.
– الطب الأكدي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٦م.

البلدي : أحمد بن محمد.
– تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

ابن الجزار : أحمد بن إبراهيم.
– سياسة الصبيان وتدبيرهم، تح. محمد الحبيب الهيلة، مط. المنار، تونس، ١٩٦٨م.

حسين : محمد كامل.
– الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ط١، المنظمة العربية للثقافة والفنون، ليبيا.

الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا.
– الحاوي في الطب، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٧٧م.
– المنصوري في الطب، تح. حازم البكري الصديقي، ط١، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٧م.

الزهراوي : خلف.
– التصريف لمن عجز عن التأليف، معهد ويلكم، لندن، ١٩٧٣م.

س. : سنجر ، أ. : أندرووف.
– مختصر تاريخ الطب، ط٢، لندن، ١٩٦٢م.

ابن سينا.
– القانون في الطب، مكتبة المثنى، طبعة مصورة، بغداد، د. ت.

السيوطي : جلال الدين.
– تاريخ الخلفاء، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٧م.

الطبري : علي بن ربن.
– فردوس الحكمة، تح. محمد زبير صديقي، مط. أفتاب، برلين، ١٩٢٨م.

عمران : آلاء.
– الفم وأمراضه، الموسوعة الصغيرة.

فرام : ريمون.
– كيف نشأ طب الأسنان القديم في الشرق القديم، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ٧ س ١، ١٩٧٩م.

فريد : مدحت.
– صحتك في فمك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت.

ابن القف.
– العمدة في الجراحة، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، د.ت.

الكرماني : نفيس بن عوض.
– شرح الأسباب في الطب النافع للأصحاب، مخطوط، مكتبة الأوقاف بالموصل رقم ٩/٥٥.

المجوسي : علي بن عباس.
– كامل الصناعة الطبية، المطبعة الكبرى بالديار المصرية، ١٢٩٤هـ.

المنذري : عبد العظيم.
– الترغيب والترهيب، دار الفكر، ١٩٨٨م.

منصور : أحمد مختار.
– دراسة وتعليق على كتاب التصريف، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٢٦، ج٢.

ابن هبل : علي بن أحمد.
– المختارات في الطب، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٣هـ.

الهيتي : رياض عبد الحميد.
– المقارنة بين التقسيمات المرضية لشرح الأسباب والعلامات والتقسيمات الحديثة لأمراض الأسنان واللثة؛ الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٩م.